موقف القرآن من الرحمة وتجلياتها في الفرد والأسرة والمجتمع

طالب الماجستير نضال حسين عبد الرشيد السوداني
nethalalsodany@yahoo.com
المشرف: د. غلامرضا رئيسيان
جامعة فردوسي مشهد ـ كلية الالهيات والمعارف الاسلامية ـ قسم علوم القران والحديث ـ إيران

The position of mercy in the Holy Quran and its effects on the individual's life, family and society

MA Nazal Hussain Abd-Alhussain Alsoudani
Dr. Golam-Reza Raeisian
Ferdowsi University of Mashhad , College of Islamic Theology and Knowledge , Department of Qur'an and Hadith Sciences , Iran

الملخص:

كانت أمة العرب في العصر الجاهلي تعيش غارقة في القتل والغارة، بعضها مع البعض، على الدوام، حيث لم تكن في قلوبهم قدر قلامة رحمة، فيقومون بوأد بناتهم البريئة جراء ماهية وضعهم الاجتماعي. فبعث النبي ليعيد بناء الأخلاق المنهارة مرة أخرى، ثم نزل القرآن مؤكدا على المفاهيم الأخلاقية الإيجابية لاسيما الرحمة والمودة ومراعاتهما في المستوى الفردي والاجتماعي. هذا، و إننا نعيش حاليا في عصر قد ورد في خضم المعارك التي تركت الآلاف من الجرحى والقتلى، نتيجة انحراف المفهوم الأخلاقي للرحمة، انطلاقا من وجهات دينية خاصة.

تعدّ الرحمة من الأقطاب الأخلاقية في الفلسفة الإسلامية، حيث أكد على وجوب مراعاتها في المستوى الفردي و الاجتماعي، من ناحية القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة تأكيداً كثيرا. وكذلك تعد اللبنة الأولى للبناء العبادي في فلسفة الإسلام العملية، حيث لا يقبل الله فرائضنا دون مراعاتها، على إطلاق الأمر. تهدف هذه المقالة من خلال اعتمادها على المنهج الوصفي- التحليلي، إلى كشف الغطاء عن ماهية الرحمة، من جهة، و تحليل تجلياتها الفردية والأسرية والاجتماعية انطلاقا من القرآن الكريم، من جهة أخرى. و من النتائج التي توصلت إليها هذه المقالة، أن مراعاة الرحمة تكسب الفرد السكينة و الهدوء، و تعطي الأسرة المودة والحب، وتصبغ المجتمع بصبغة العدالة الاجتماعية والاحترام المتقابل.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الرحمة، الفرد، الأسرة، المجتمع.

Abstract:-

The Arab Ummah in the pre-Islamic era had been always immersing in murder and looting. So that there was not a speck of kindness in their hearts, and according to the sociological situation, they buried their daughters in the grave. Therefore, God sent the Prophet to rebuild the building of morality and then descended the Qur'an with an emphasis on positive moral concepts, especially mercy and kindness at the individual, social, and family levels. At the same time, we are currently facing challenges that have led to thousands of people being injured or dying due to deviations from the moral concept of mercy, relying on different religious perspectives.

Mercy is one of the important moral poles in Islamic philosophy, as the Holy Quran and the noble hadiths have placed great emphasis on the necessity of its implementation at the individual, family and social levels. It is also the basis of worship in the practical philosophy of Islam, leading God to not accept human duties at all without observing it.

Relying on a descriptive-analytical approach, this study, on the one hand, reveals the nature of mercy, and on the other hand, analyzes individual, family and social examples from the perspective of the Holy Quran. Of the results obtained are that mercy brings peace of mind to the individual, mutual love in the family, and social justice and mutual respect in society.

Key words: Holy Quran, Mercy, Individual, Family, Society.

المقدمة:

إن الرحمة تعد من المفاهيم الأخلاقية التي، لم ترد في القرآن الكريم فحسب، بل ورد في الكتب السماوية الأخرى، وأكد على وجوب مراعاتها في الصعيد الفردي و الأسري و الاجتماعي. عليه، "اتفقت الأديان السماوية قاطبة على مجموعة من القيم الأخلاقية، مثل المحبة والتعاون والرحمة، لما في هذه القيم من أثر في حماية الفرد والأسرة و المجتمع من التدهور و التفكك والتخريب والتفتت، و إن أكثر الأفراد و الأسر نجاحاً في حياتهم العلمية هم أولئك الذين يرتبطون فيما بينهم بأواصر المحبة والتراحم والألفة" (ليلا شنتوح، د.ت: ٤٦٩) (Leila shantoh:, P 469). وإذا تحتل النقمة مكان هذا المفهوم الأخلاقي لا يعني أنه يتغير جوهرياً، بل يرتبط هذا الأمر بما يستنبطه من هذا المفهوم.

وخصوصا إننا في الدين الإسلامي نلاحظ، تماشيا مع هذه الفكرة، أن النبي تنحصر رسالته على إجراء وتطبيق المودة بين الناس جميعاً. فلقد جاء في القرآن الكريم "و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء/ ١٠٧) (Al-Anbiah:, V 21). حتى إن النبي كان يعرف نفسه على الناس بأسماء فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفى، ونبي التوبة ونبي الرحمة" (المغربي، د.ت: ٥٩) (Al-Maghrebi: P 59)

ولا ينحصر النبي، نفسه، على تطبيق الرحمة بين البشرية بل إن الأنبياء جميعاً بعثوا لتعميم هذا المفهوم الأخلاقي بين البشرية. يقول القرطبي في هذه المناسبة "فالرسل خلقوا للرحمة، ومحمد خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أمانا للخلق، لما بعثه الله أمن الخلق العذاب إلى نفحة الصور...وكذلك قال ﷺ (لنا رحمة مهداة) يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله. وقوله "مهداة" أى هدية من الله للخلق" (القرطبي، ١٤٢٣ق، ج ٤: ٦٣) (Al-Qortobi: 2003, V 4, P63)

بغض النظر عن ذلك، فإن رحمة الله لا تخص البشرية، بل كما يقول نفسه "و رحمتي وسعت كل شيء" (الأعراف/ ١٥٦) (Al-Araf:, V 156) تعمّ رحمته كل ما يكون في الكون من الحيوانات أيضا. ومن هذا المنطلق، نشاهد أن الأنبياء لا يحترمون حقوق الأنسان بل يحترمون حقوق الحيوانات مؤكدين للناس على المراعاة لها على إطلاق الأمر. فنشاهد

أنه "قد اقتدى أصحاب رسول الله ﷺ بخلقه الشريفي الرفق بالحيوان: فهذا على بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول لمن يستعملُه على الصَّدقات: ثُمَّ احدُر. إلينا ما اجتَمعَ عندك نصيِّره حيثُ أمَر اللّه ُبه، فإذا أخذَها أمينُك فأوعز إلَيه ألاّ يحول بَين ناقَةٍ وبَين فَصيلها، ولا يَمصر. لَبنها فيضرَّ ذلكَ بولدها، ولا يَجهدنَّها رُكوبا، ولْيعدلْ بَين صَواحباتها في ذلكَ وبينها...ولْيُوردها ما تَمرّ به من الغُدر، ولا يَعدلْ بها عن نَبت الأرض إلى جَواد الطُرق، وليُروِّحها في السّاعات، وليُمهلها عند النِّطاف. والأعشاب، حتّى تأتينا بإذن اللّه بُدَّنا مُنقيات، غَير مُتعباتٍ ولا مَجهودا"(المدني، ١٣٨١ق: ٢١) (Al-Madani: 1962, P 21).

وإن النقمة والعقوبة هي ما يقابل الرحمة، إلا أنها هي "رحمة من الله تعالى لعباده وفيها إرادة الخير لهم، والحفاظ على مصالحهم ودرء المفاسد عنهم، و قد أشار ابن تيمية إلى إقامة الحدود شرعت رحمة من الله بعباده فهي صادرة عن رحمة الخالق وإرادة الإحسان إليهم ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد ذلك الإحسان إليهم كما الوالد يقصد تأديب ولده، و كما يقصد الطبيب معالجة المريض" (ابن تيميه، ١٩٩٩م: ٩٧) (Al-Madani: 1999, P 97). فإن الرحمة والعقوبة، من هذا المنطلق، كلاهما وجها عملة واحدة، حيث يعد كل واحد منهما مكملا أو متمماً للآخر. "فإن الفرائض التي ألزم الإسلام كل منتسب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء بأن يحي بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكا بهذه الإخلاق لهما تغيرت أمامه الظروف" (الغزالي، د.ت: ٧) (Al-Madani: P 7). ومن هذا المنطلق، إن "العبادات بأشكالها المختلفة البدنية، والمالية، أو كلاهما معاً، تلتقي عند غاية واحدة حددها الرسول ﷺ منذ الوهلة الأولى فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البيهقي، ١٩٩٤م: ج ١٠: ٣٢٣) (Al-Baihaghi: 1994, V10, P 323)

إشكالية البحث:

إن الرحمة تعد من المفاهيم الخاصة التي ورد الكتب السماوية قاطبة، ونظر كل من اليهودي والمسيحي والاسلامي نظرة منطبقة على مفهومها ومدلولها الحقيقي، إلا أن الاختلاف التفسيري - فيما بينها - من القرآن الكريم أوجد نوعا من الفلسفة العملية خاصة لهذه الأديان، حيث يؤدي ذلك كله إلى أن يعتبر اليهودي المسلم كافرا، ومن هنا ينهد البناء الأخلاقي ويتم انحراف مفهومي من مصطلح الرحمة. وفضلا عما سبق، فإن الرحمة ليست

مفهوما فردية البتة، بل إن لها التطبيق الاجتماعي والأسري وحتى عالمي بشكل عام. والذي يحرك البحث هذا هو أن الرحمة ليست مفهوما جامدا، بل ككائن حيّ يشمل جميع الطبقات الفردية والأسرية والاجتماعية و غيرها، ويلزمنا هذا الأمر أن نقف منها من أبعاد وزوايا مختلفة.

سؤال البحث:

ماهي تجليات الرحمة، في حالة تطبيقها في الحياة، تطبيقا حقيقيا صحيحا؟

فرضية البحث:

من المفترض أن الرحمة إذا انطبقت على الحياة - سواء كانت الحياة الفردية أو الأسرية أو الاجتماعية- انطباقا حقيقيا صحيحا، فإن لها آثار ونتائج إيجابية نحو السكينة والهدوء والتعامل الممتاز، حيث يؤدي هذا الأمر إلى انتهاء الصراعات الأسرية والاجتماعية خاصة و الصراعات العالمية عامة.

سابقة البحث:

لقد طرق الكثير من النقاد والمحققين باب الرحمة ومفهومها كثيرا إلا أن هذه الدراسات تمحورت، بشكل عام، حول دلالتها اللغوية. و من هذه الدراسات تجدر الإشارة أولا إلى الكتب: منها "مفاتيح الرحمة " لبهروز رضايي كهريز و ذلك يحتوي على أدعية نحو دعاء العهد والفرج وغيرهما. "الرحمة في الطب و الحكمة" ألفه جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ولقد تعرض الكاتب هنا بكليات في خصوص الطب. كتاب آخر تحت عنوان " الرحمة" لجابر بن حيان و يشتمل هذا الكتاب على رسالات في خصوص الكيمياء. كذلك تجدر الإشارة إلى كتاب "الرحمة الواسعة" ألفه محمد تقي بهجت وذلك، في الحقيقة عبارة عن نفحات من فيض الرحمة الالهية الواسعة، من سيد الشهداء عليه السلام. كذلك كتاب "صراط الرحمة: سيره علما وشهدا در احترام به والدين و يتيم نوازى" [منهج العلماء والشهداء في خصوص الاحترام للوالدين والحب للأيتام] لمصطفى عيسى زاده عسكر آبادي.

ومن المقالات المكتوبة في هذا الخصوص تمكن الإشارة إلى "أثر الرحمة في حياتنا" للفقى وقد تحدث الكاتب عن الرحمة النبوية وأثر هذه الرحمة في حياة الفرد. مقالة أخرى

عنوانها "معناشناسي رحمت رحيميه در قرآن"[دراسة معنوية لرحمة الرحيمية في القرآن الكريم] لأعظم پرچم وآخرين، حيث أُلقيَ الضوء على صفة الرحيمية والرحمانية لله تعالى. دراسة أخرى عنوانها "من القسوة إلى الرحمة" بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر" ولقد تطرق الكاتب هنا إلى ما بين الرحمة والقسوة من تضاد، وأن رحمة الله ونقمته على ما جاء في القرآن، رحمة بكل ما في الكلمة من المعنى. مقالة أخرى عنوانها "الرحمة و آثارها" للبليني و قد تحدث الكاتب في هذه المقالة عن آثار الرحمة العامة مثل الحنو والشفقة والتغاضي وغيرها من الأوصاف الأخلاقية الحميدة.

ومن الرسالات المكتوبة في هذا الخصوص "ألفاظ الرحمة وتراكيبها في القرآن الكريم(دراسة لغوية-تحليلية)" إعداد يوسف الصقيلي تحت إشراف فوزي ابراهيم فياض، وقد تطرق الباحث هنا إلى الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم مثل الرّحيم والرّحم والتّراحم وغيرها بشكل عام.

الرحمة لغوياً واشتقاقياً:

من خلال نظرة إلى أمهات المعاجم فإننا فهمنا أن الرحمة من زاوية الحقل الدلالي هي أن "الراء والحاءّ أصل يدل على السعة والانبساط" (ابن فارس، ١٩٧٩م، الجزء الثاني، ٣٨٥) (Ibn-Fares: 1979, V2, P 385). وتأييدا على ذلك قيل ((الراء، والحاء، والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رَحِمَهُ، يَرحَمَهُ: إذا رقَّ له، وتعطَّف عليه، والرُّحم، والمرحمة، والرّحمة بمعنى)) (ابن منظور، د.ت، باب الراء:١٦١١ وابن فارس، د.ت، ج ٢: ٤٩٨) (Ibn-Mandhou: P 1611 , Ibn-Fares V2, P498). وبين صاحب أساس البلاغة: رحم: رحمته رحمة ومرحمة ورحما...وتراحموا تعاطفوا (زمخشري، ٥٣٨: ٣٤٤) (Zamakhshari: P 538). وجاء في لسان العرب - أيضا - رحم. الرحمة: الرقّة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا.

(ابن منظور، د.ت، باب الراء، الجزء ١٨: ١٦١١) (Ibn-Mandhour: V18, P 1161)

الرّحمة اصطلاحياً:

ومن الناحية الاصطلاحية فإن هناك تعاريف لمصطلح الرحمة منها مثلاً جاء في كتاب الفيروز آبادي "إن الرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا. و إذا وصف به البارئ- سبحانه وتعالى- فليس يراد به الإحسان المجرد دون الرقة. وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطّف" (الفيروزآبادي، د.ت، ج١: ٨٠٦) (Al-Firouz Abadi: V1, P 806)

ويعرفنا الراغب الاصبهاني علي أن الرحمة " رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو، نحو رحم الله فلانا فلاناً، إذا وصف به البارئ فليس يراد به الإحسان المجرد دون الرقة "(الراغب الاصبهاني، د.ت: ١٩١) (Al-Raqib:, P 191) و لقد عرّف الكفوي الرحمة بقوله: " هي حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)) (الكفوي، ١٩٩٣م: ٤٧١) (Ibn-Mandhour:1993 , P 471)

ويصف البليني الرحمة من الأخلاق الكريمة والأوصاف الجميلة قائلاً ((رقة في القلب تقتضي العطف والحنان وتدعو إلى الرقة والشفقة وهي من العواطف الكريمة والخصال الطيبة الحميدة وقد وصف الحق سبحانه وتعالى نفسه في غير آية من كتابه: بسم الله الرّحمن الرّحيم)) (البليني، ١٣٨٢: ٧٨) (Al-Balini:1963 , P 78)

ومن هذا المنطلق، تجدر الإشارة إلى أن الرحمة حالة نفسية أو وجدانية تتجلى في سلوك الفرد وتعامله مع الأسرة، والمجتمع. وإذا التزم الفرد بهذه الصفة الأخلاقية فيرتقى مستواه الفردي والاجتماعي بشكل عام.

ومن ناحية أخرى، فلقد أشار الغزالي إلى أن الرحمة، بشكل خاص، ((في أفقها الأعلى وامتدادها صفة المولى تباركت أسماؤه، فرحمة الله شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع الرحمة، كما أن كثيرا من أسماء الله تبارك وتعالى ينبع منه الرحمة والعفو، لذلك كان من صلاة الملائكة لله عزّ وجلّ)) (الغزالي، د.ت: ٢١٦) (Al-Qazali:, P 216)

أنواع الرحمة (البشرية والإلهية):

ومن هذه الناحية ممكن تقسيم "الرحمة" إلى نوعين هامين هما "الرحمة البشرية والإلهية". فالرحمة البشرية تأتي من خلال هذين المحورين بشكل عام:

المحور الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق.

المحور الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف (آل الدريني، د.ت: ٢٧٠) (Al-Aldarini: , P 270) على هذا فإن الرحمة من هذا المنطلق ذات مسحتين المسحة الغريزية التي جبل الانسان بها من دوان التصرف فيها أو قل غير إرادي، والمسحة الأخرى هي الاكتسابية التي يحصل عليها المرء عبر سلوكياته بشكل عام. ومن جهة أخرى، ممكن تقسيم "الرحمة الإلهية" إلى المحورين الآتيين:

المحور الاول:

الرحمة العامة: إن هذه الرحمة الإلهية تعمّ جميع ما في الكون من المخلوقات. وهي فيما يسمىّ بالرحمة الرحيمية. ومن ناحية أخرى، إن رحمة الله الرحيمية، في الدرجة الأولى تخص الأنبياء الذين هم اصطفاهم الله لهداية الخلق، ومن كلامه سبحانه وتعالى "و وهَبْنا لَهمْ من رحمتِنا" (مريم/٥٠) (Maryam:, V 50)

. وفي مرتبة أخرى تتعلق الرحمة الرحيمية بأولئك الذين يتميزون عن الآخرين بميزات معنوية خاصة. ومن كلامه تعالى "فأمّا الذينَ آمنوا باللهِ واعتصَموا بهِ فسَيُدْخلهُم في رحمةٍ منه" (نساء/١٧٥) (Nesa:, V 175). وفي أقل درجة منها تعم جميع المسلمين ففَي الآيةِ أَطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ لعلَّكم تُرحَمونَ" (آل عمران/١٣٢) (Al-Emran:, V 132) (پارچم وآخرون، ١٣٨٩ش: ١٠) (parcham and other:201 , P 10)

المحور الثاني:

الرحمة الخاصة: و هذا النوع من الرحمة "تخصّ الله تعالي دونما أي إطلاقٍ على أحدٍ" (طبري، ١٤١٢ق، ج١: ٤٦) (Al-Tabari:, P46). على هذا، فإن صفة الرحمانية لله دون سواه، وتتعلق بإفاضته الوجودية للبشرية.

الرحمة والعقاب:

لقد ذكر في القرآن الكريم خاصة والأحاديث الشريفة عامة، أن الإسلام دين الرحمة، إلا أن هذه الرحمة يكتنفه نوع من العقاب الذي حدده الله تعالى لهداية البشرية، إذن إن عقاب الله تعالى ليس عقاباً في حد ذاته بل وجه الرحمة الآخر بشكل عام. على هذا ينبغي القول: "فهو مع رحمته شديد العقاب، ومع غفرانه يجازي المسيئين الذين ليسوا أهلا لغفرانه، وللرحمة مواضعه ولا يخلط بين هذا وذاك إلا ناقص، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإذا كان الشاعر يقول في شأن البشر:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فما بالنا بالاله الحكيم العليم المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقصان؟ (المدني، ١٣٨١ق: ٢٠) (Al-Madani: 1962 , P 20)

فمن خلال هذه العبارات نفهم أن عقاب الله تعالى هو الوجه الآخر للرحمة، ذلك أنه وضع العقاب والمؤاخذة وغيرهما بين البشرية، حلاً لمشاكلهم الأخلاقية والحقوقية في المستوى الفردي، والأسري، والاجتماعي. و إن رحمته الله تأتي من كونه التواب، والودود، والغفور، والرحمن، والرحيم، والحليم وغيرها من الصفات الحسنى الأخرى. عليه، فإن للانسان أيضاً لازم أن يكون - مثل ربه- ليضع كل شيء في مكانه، أن يكون حليماً ورحيماً أحياناً، وشديداً وناقماً أحياناً أخرى.

الرحمة؛ تعددية المعنى وثنائية الدلالة

استشهاداً على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، نتوصل إلى أن الرحمة تعدّ من المصطلحات التي لا تذخر بمدلول واحد، بل إننا نلاحظها تأتي في حقول دلالية متنوعة وتحمل معنى خاصاً بها، وذلك لا يتأتى إلا انطلاقاً من وظيفتها الاستعارية والمجازية، فقد تأتي بمعنى الجنة، وقد تدل على الرسول، وقد تشعرنا بنفس الرحمة والمودة وما إلى ذلك. ومن دلالاتها تجدر اللإشارة إلى التالي:

١- القرآن الكريم: قد جاءت الرحمة بمعنى القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في الآية: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فالرحمة في هذه الآية القرآن وهذا

مروي عن الحسن والضحاك ومجاهد والقتاد (المهدي، د.ت: ١٠١٥) (Al-Mahdi:, P 1015)

٢- **النصر والظفر:** ومن الآياتي الدالة على هذا المدلول: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب: ١٧) (Al-Ahzab:, V 17)

فسَّر القرطبي الرحمة في الآية بقوله: قل من ذا الذي يعصمكم من الله، أي يمنعكم منه. إن أراد بكم سوءاً، أي هلاكاً. أو أراد بكم رحمة، أي خيراً و نصراً (القرطبي، ١٩٦٤،ج ١٤/ ١٥١) (Al-Qourtobi:1964 ,V14, P 151)

٣- **المطر والشمس:** ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى/ ٢٨) (Al-Shaura:, P 28)

نقل ابن الجوزي في تفسير الرحمة في الآية، أنها على قولين: أحدهما المطر، والثاني الشمس بعد المطر(ابن الجوزي،١٤٢٢، ٤: ٦٦) (Ibn-Aljozi:2002 , P 66)

٤- **النبوة:** ومن ذلك في القرآن الكريم ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾. أم عندهم خزائن رحمة ربك، أي بأيديهم مفاتيح النبوة فيضعونها حيث شاؤوا.

٥- **الجنة:** ومنه في القرآن الكريم ﴿وَلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت/ ٢٣) (Al-Ankabout:, V 23)

فالرحمة في هذه الآية هي الجنة، أي أولئك ييأسون يوم القيامة من رحمة الله وهي الجنة (فتح القدير،١٤١٤، ج ٤: ٢٢٩) (fath-Al Ghadir:1994 ,V4, P 229)

وبغض النظر عن هذه المعاني والمدلولات فإن الرحمة تعني في بعض اللآيات المغفرة، والجنة، والقرآن الكريم، وما إلى ذلك وإننا في هذه الدراسة تطرقنا إلى ذلك إجمالا خوف إطالة الكلام أو إطنابه.

تجليات الرحمة:

سبق أن قلنا بأن الرحمة من المفاهيم والمصطلاحات الإسلامية الهامة التي جاءت في

غير قليل من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إنها تعدّ من الأخلاقيات الإسلامية الحسنة أو الحميدة التي انحصرت عليها فلسفة الإسلام النظريه وفلسفته العملية، ذلك أن النبي خاصة والأنبياء - غيره- عامة لم يبعثوا إلا ابتغاء تطبيق الأخلاقيات الحميدة عامة وسنّ الرحمة والتراحم فيما بين الناس، قصداً إلى الاهتداء إلى سبيل الرشاد بشكل عام. ومن الآيات المؤكدة على هذا الخلق الحميد - أي الرحمة- لما يخاطب الله تعالى نبيه محمد ﷺ، مؤكداً على رسالته الانسانية- الأخلاقية المنحصرة على الرحمة، تأكيداً إلى درجة حصر رسالته على تعميم هذه الميزة الأخلاقية والبشرية الحسنة.

فيقول سبحانه وتعالى "و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء/ ١٠٣) (Al-Anbiah:, V 103). فإننا نلاحظ في هذه الآية أن الرسول انحصرت رسالته على تطبيق الرحمة والتراحم بين الناس جميعاً. وتلبية لهذه الدعوة الإلهية وإستجابة لها يقول النبي الأكرم. (مجلسي،١٤٠٣ق: ٣٨٢) (Majlesi:1983 , P 382)

فإن الرحمة، باعتبارها من الأخلاقيات المحمودة إنما لها مكانة مرموقة في الدين الإسلامي، حيث إن الله لم يُلهم الأنبياء على تطبيق الرحمة بين الناس، بل إنه سبحانه وتعالى أكد- في القرآن الكريم- جميع البشرية على مراعاة الرحمة فيما بينهم، وإصلاح ذات البين وما إلى ذلك من الأخلاقيات الحسنة. على هذا، فإنه تجدر الإشارة إلى مستويات الرحمة التي تعد من ضمنها الرحمة الفردية والرحمة الأسرية والرحمة المجتمعية، وما يصدر عنها في حالة مراعاتها بشكل عام:

١- **الرحمة الفردية:** إن الإسلام، على حد تعبير ذاته والأنبياء وحتى النقاد الكبار والمحللين، هو دين الرحمة، وذلك يأتي انطلاقاً من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. إن الرحمة الفردية، كما يبدو من ظاهرها، تعني اهتمام الفرد بذاته لتطويرها في المجتمع، ولأن يكون موضع عناية الله تعالى من جهة، واهتمام الأسرة والمجتمع من جهة أخرى. فبما أن الرحمة مفهوم وجداني- نفساني، من جانب، وخُلقٌ من الأخلاقيات الإسلامية، من جانب آخر، فإن تجلياتها هي، في حد ذاتها، نفسية وأخلاقية أو سلوكية في وقت معاً. ومن هذا المنطلق ممكن تقسيمها إلى المحاور الآتية:

أ- الاحترام الذاتي: إن الله تعالى، في كثير من آياته الكريمة، أكد على كرامة الانسان وقيمته الكبيرة، معتبراً الاحترام الذاتي أو احترام الفرد لذاته ذات أهمية مبالغ فيها. حيث يقول في هذه المناسبة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠/الإسراء) (Al-Isar:, P 70)

هذه الآية تشير على تكريم الإنسان من جانب الله تعالى وتفضيله على كثير من المخلوقات تفضيلا.

وزاد من احترامه وتكريمه للبشرية إلى أن عَدَّه خليفة له في الأرض بشكل عام. وقال في مصحفه العزيز أيضا في هذا الخصوص ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠) (Al-Baqarah:, V 30)

فإن جعل الله الإنسان خليفة له في وجه الأرض يدلّ على مكانته المرموقة، وعظمته لدى الله تعالى.

إن الاحترام الذاتي، تبلغ أهميتها إلى حيث أن علماء الدين وحتى العلماء الأروبيين اعتبروا هذا الأيقونة من الأيقونات المحورية التي تبلغ بالفرد إلى مستويات اجتماعية ممتازة، حيث إن **Maslow** ماسلو يعتقد بأن الاحترام الذاتي حاجة نفسية- اجتماعية قائلاً "أما هو فيرى أن حاجات الاحترام تأتي في المستويات العليا من هرم الحاجات، فهو يرى أن الفرد بعد أن يشعر بالانتماء، تنشأ له الحاجة للاحترام، فهو يحتاج للاحترام من نفسه من خلال الشعور بقيمة الذات، ومن خلال الآخرين على شكل مكانة اجتماعية، وتقدير ونجاح اجتماعي، فإشباع الحاجة للاحترام لهذه المشاعر، قد يصبح الفرد أكثر قدرةً، وأكثر إنتاجًا في كل مجالات الحياة". (الحلو، د.ت: ٣٥) (Al-Helou:, P 35)وتماشياً مع الفكرة أعلاه فإن الانسان محترم في حد ذاته، كما أنه يعجبه أن يكون محترماً في الفضاء الاجتماعي، وإذا لم ينل من هذه الحاجة فيواجه أعراض نفسية أخرى. فالاحترام الذاتي لم يتم التأكد عليه من قبل الإسلام بل إن النزعة العلمية أيضا تجعل لها مكانة هامة لتطور شخصية الفرد وتنمية شعوره وتقوية مقدرته الفردية والاجتماعية. هذه هي ايجابياته، إلا أن سلبيات الاحترام الذاتي - في حالة عدم المراعاة به لدى الفرد- فإنها تصيب الفرد بالنقص في

الذات، وضعف المقدرة من الناحية النفسية (أو العلمية) ويساوره أيضا التأرجح العقدي من الناحية الدينية.

باء- الثقة بالنفس: هي قضية هامة أخرى التي تتصل بالرحمة الفردية بشكل عام، وتجدر الإشارة إلى أن الثقة بالذات انما لها علاقة دينامية مع الاحترام الذاتي.

و تماشياً مع تلك الفكرة، إن مجرد استشعارك بالمقدرة على التحكم بمجرى الأحداث في حياتك، فضلاً عن استعانتك بالله تعالى، هو أساس العمل الإنتاجي الهادف والقيادة الذاتية إن وفقك الله - عزّ وجل - لذلك فإن الذين لديهم ثقة بأنفسهم ويشعرون إنهم قادرون على التحكم ينتجون أكثر من غيرهم بدون شك... كما أن الثقة بالنفس هي دليل على احترام الذات، وهذا فيه تأثير مباشر على المقدرات الذاتية ويمكننا نلمس هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء / ٦٢) (Al-Shouara:, V 62)

قال موسى - عليه السلام - قالَ كَلاّ إنَّ معيَ ربِّي سَيَهدينِ؛ هذا يدلنا على ثقته بالله تعالى أولاً واعتماده على نفسه ثانياً.(فوزي على، د.ت: ٣١) (Fouzi:, P 31)

فالثقة بالنفس لاتأتي إلاّ من خلال اعتماد الفرد على نفسه وكذلك استعانته بالله تعالى، فإذا اجتمع هذان الأمران فتصير شخصية الفرد كحصن لا يمكن للشدائد أن تنفذ فيها على الإطلاق. الواثق بنفسه لايتردّد أمام المشاكل و لا يهتزّ لأعاصير الحياة ويخطط مستقبله بشكل دقيق وناجح، كما أنه لا ييأس من رحمة الله وبركاته في حياته على الإطلاق. ولا يفوتنا أيضاً أن الثّقة بالنفس والاستعانة بالله تعالى، إنما لهما علاقة ثنائية، فكما أن الثقة بالنفس تلهم الفرد الصبر على الشدائد وتحمل أعباء الحياة، فإن الثقة بالله والتوكل عليه تجعله ثابت القدم في حياته وصموداً في عقيدته وإيمانه.

و من جميل كلام الله تعالى في هذا الخصوص لما يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق/٣) (Al-Talaq:, V3) فالثقة بالله تعالى، انطلاقاً من هذه الآية، إنه من آثارها الطمأنينة والهدوء والسكينة في الحياة الفردية من جهة، والفلاح في حياة الدنيا والآخرة من جهة أخرى.

ومن تجليات الثقة بالذات، أيضا، هي الصبر على الشدائد والمصائب أيضاً، هذه هي

حالة المؤمنين الذين هم صابرون وصامدون أمام المشاكل، متوكلين على الله تعالى، ومفوضين أمورهم له سبحانه وتعالى. جاء في القرآن الكريم في هذا الخصوص ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة /١٥٦و١٥٧) (Al-Baqarah:, V 156-157). فالصبر علي المشاكل، كما أنها تزيد من ثقتنا بأنفسنا، إنما تهدينا أيضا إلى رحمة الله سبحانه وتعالى.

ج-التقدير الذاتي: التقدير الذاتي، ذلك يعني النظرة الى الذات، لا من الناحية الإيجابية المحضة ولا من الناحية السلبية المحضة، ذلك يعني أننا إذا نظرنا إلى أنفسنا إيجابياً فلتكن نظرتنا بحيث لا تجعلنا نشعر بالتعالي والغرور و الكبر، ومن الزاوية السلبية، إذا انتقدنا أنفسنا فنقوم بنقد ذاتي بنّاء يؤدي إلى بناء شخصيتنا بناء محكماً مستقيماً لا معوجاً متأرجحاً. لأننا إذا نظرنا إلى أنفسنا بنظرة تشاؤمية أو سلبية فهي نوع من الحطّ لشخصيتنا وتأتينا بالخوف والقلق، وتقلل من الكفاء الذاتي، كما أننا إذا نظرنا إلى أنفسنا نظرة إيجابية متجاوزة، عن حدها المحدد، فبالطبع يعرّضنا هذا الأمر للشعور بالترفع، والتعالي، والتعجرف، والغرور وما إلى ذلك. عليه، فإن ما يطلبه الله تعالى من الانسان هو أن ينشيء نوعاً من التوازن والتعادل في تقدير ذاته بشكل عام، ليفلح في حياته الدنيا والآخرة.

و بناء على ذلك، فإننا نلاحظ أن الله تعالى قد كرَّم الإنسان في القرآن تكريماً، ويجعله خليفة لنفسه على وجه الأرض حيث يقول في مصحفه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ... وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٣٠-٣١-٣٣) (Al-Baqarah:, V 30-31-32). ففي هذه الآيات نشاهد أن الله تعالى رفع منزلة الانسان وفضّله على جميع خلقه، بجعله خليفة له في الأرض، والنقطة الهامة الثانية التي نتوصل من خلالها إلى مكانة الانسان العظيمة، فإنها تتبلور في تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها، وهذا امتياز آخر للبشرية على الكائنات كافة. وذروة هذا التكريم يتبلور حيث الله يأمر الملائكة بالسجود للانسان ويبخل عليه الشيطان مستكبراً. على الانسان إذن ألا يغتر بنفسه ولا يترفع نفسه عن الآخرين ويرى نفسه جزيئاً من الكون.

على الرغم من أن الله تعالى، يكرِّم البشر تكريماً في مواضع كثيرة من كتابه، إلا أنه أيضاً قد ينذر- بل حتى يبشر أحياناً- هذا الإنسان بعذاب أليم، فهذا الأمر يدل على أن الانسان قد يرتكب جريمة أو إثماً تجعله هي منفوراً ومحروماً من نعم الله تعالى، لتنحط درجته إلى أسفل الدرجات. ومن كلامه سبحانه وتعالى في هذا الخصوص لما يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف/١٧٩) (Al-Araf:, V 179). فها هنا نلاحظ أن الانسان إذا لم يكن متأملاً بقلبه في الكون وحقيقة الحياة، وكذلك مبصراً بعينه فيما يكون في الكون من النعم، فعلى حد تعبير القرآن، هو كالأنعام بل هو أضل منها.

فإن التقدير الحقيقي، هو النظر إلى الذات بنظرة متعادلة ومتوازنة - لا متشائمة ولا متفائلة متجاوزة- وذلك لا يتأتى الاّ من خلال إعادة النظر إلى ذواتنا بنظرة سليمة وإيجابية، فلا نصنع من أخطائنا جسراً للشعور بتدنّي الذات أو الحطّ منها بل ونحسبها تجربة أو جسراً للوصول إلى الحقيقة المطلوبة. ((وهذا هو المنهج الرباني في التعامل مع الأخطاء، فها هم الصحابة في غزوة أحد يخطئون ويخالفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وها هو القرآن ينزل بقرعهم على فعلتهم ويوبخهم على أخطائهم، ولكن يربت على ظهورهم ويقول لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩) (Al-imran:, V 139). فالإنسان يحاسب نفسه ولكن يحاسبها الحساب الإيجابي الذي يولد العمل والإنجاز والثقة بالذات، وليس المقت السلبي الذي يورث القلق والفزع واحتقار الذات والصراع معها)) (عطاء الله، واحة النفس، ٢٠١٣م (https://s.alarab.qa/ Ata-Allah,Aahat Alnafs: 2013). المفهوم الجوهري الذي يؤكد عليه القرآن أيضاً في هذا الخصوص هو التوازن والتعادل، في تقدير الذات، وليس غيرُ.

٢- **الرحمة الأسرية:** إن الأسرة هي في حد ذاتها تعدّ محطة هامة أخرى صارت موضع العناية من ناحية الفلسفة الإسلامية، لأنها، ذاتياً، هي نواة المجتمع والحجر الأساس لها أساساً، فالقرآن نفسه هو الذي أكد في نواحٍ متعددة من الآي الكريمة على مراعاة الرحمة بين أفراد الأسرة ولزوم المودة في سلوكياتهم. فمن الآيات التي نزّلت تأكيداً على لزوم المودة والرحمة بين أعضاء الأسرة حيث يقول سبحانه

وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم/ ٢١) (Al-Roum:, V 21). فإننا في هذه الآية نلاحظ أن الله تعالى يعرف علينا الزوجة باعتبارها ملجأ سكوننا وهدوئنا، ومن نعمه أيضاً إنشاء المودة والرحمة بين الزوج والزوجة. فهذا كله يدل على أهمية تشكيل الأسرة من جهة، والتزام بالاحترام المتقابل من جهة أخرى. وكثيرة هي الآيات التي تدلنا على أهمية مفهوم الرحمة وتطبيقها في الأسرة خاصة، والمجتمع عامة. ومنها حيث يقول في نفس السورة وفي نفس الآية أنه ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فها هنا أشار القرآن الكريم إلى أن الله تعالى خلق فيما بين أعضاء الأسرة نوعاً من المودة والرحمة ليعيشوا معاً أمنين، ودونما أي عراك أو شجار يزلزل كيان الأسرة وبنائها.

بشكل عام، إن الزوجة في الآية الآنفة الذكر هي بالطبع سكنٌ والزوج هو الساكن فيه، دون أن يكون ممتلكاً اياه، أو مسيطراً عليه على إطلاق الأمر، ومن هذا المنطلق، ينبغي القول بأن العلاقة الأسرية بين الزوج والزوجة، هي، نوع من الأخذ والعطاء، لأنه يتبادل بينهما السلوك الذي يتميز بالمودة والرحمة، فكل منهما يتأثر بناؤه العاطفي من الآخر، خصوصاً أن الزوجة هي منفعلة تجاه التصرفات الغليظة والمتشددة، لذلك القرآن يأمر الزوج على التعامل الجيد معهن حيث يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النِّساء/ ١٩) (Al-Nesa:, V 19). كما أن القرآن وضع حقوقاً من الزوج على الزوجة أيضاً، وهي تتجلّى في حسن التصرف معه والالتزام بطاعته وغيرهما. فجاء في القرآن الكريم، في هذه المناسبة، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء/ ٣٤) (Al-Nesa:, V 34). على هذا الأساس، فإن من حقوق الزوج أن تكون زوجته الصالحة، والتابعة له في إنجاز الأمور، والمحافظة على نفسها له في حالة غيابه عنها على الدوام.

بغض النظر عن تأكيد القرآن على لزوم المودة والرحمة في الأسرة، فإن الأحاديث الشريفة أيضا تؤكد على التفاهم الأسري على الدوام. وفي هذا المجال، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِه، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي (الترمذي:٣٨٣٠) (Al-Termazi:, P 3830). وفي هذا الحديث إشارة عميقة إلى التواصل الأسري، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان من أكثر الناس عناية بأسرته وأشد الناس اهتماما بهم، وأعطفهم لهم

بشكل عام. وجعل من نفسة أسوة للناس لينهجوا منهجه ويحتذوا حذوه في إدارة الأسرة والعناية بها. عليه، وإنه من تجليات الرحمة الأسرية تجدر الإشارة إلى المحاور الآتية:

أ- العناية بالوالدين الرحمة بهما: الاحترام والعناية بالوالدين من المحاور الهامة التي سلط الضوء عليها القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، حيث نلاحظ غير قليل من الآيات المؤكدة عليها والأحاديث المروية عن أهميتها وخطورتها في تكوين بناء أسري جيد. فجاء في القرآن الكريم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت/ ٨) (Al-Ankabout:, V 8). فهاهنا نلاحظ أن القرآن كيف يؤكد على لزوم الإحسان إلى الوالدين- من جانب الأولاد- والعناية والاهتمام بهم في شؤون حياتهم عناية فائقة، وذلك أنهما حاولا كثيرا لرعاية أبنائهم وتعليمهم كيفية التعايش في المجتمع، فضلاً عن أنهما يؤثران الأولاد على نفسهما إيثاراً حقيقياً. فلقد جاء في القرآن الكريم، تأكيداً على هذه الفكرة، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء/ ٢٣-٢٤) (Al-isra:, V 23-24). ففي هذه الآيتين، نلاحظ أن الله تعالى أمر الأولاد على عبادته أولاً والإحسان إلى الوالدين وإكرامهما ثانياً بحيث ينبغي لهم أن يتعاملوا معهما تعاملاً - لاسيما عند كهولتهما- دون أية منة أو أفٍّ، ومصحوباً بالنظرة الرحيمة والعمل المخلص.

و من جهة أخرى، لقد عُني القرآن بالمرأة عناية أكثر مما مضى علينا من الآيات، بل فرض الأولاد على احترامها احتراماً خاصاً، هذا الامر بسب كثرة تحملها للمصائب والشدائد، وإخلاصها في تربية الأولاد والعناية بهم من الناحية الروحية، والعاطفية، والجسمية، والاجتماعية، فضلاً عن عنايتها بالزوج على الدوام. وتوضح لنا هذا الأمر آية من سورة لقمان وها هي ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤) (Luqman:, V 14). ففي هذه الآية تأكيد ضمني أو تلويحي على مراعاة حقوق الأم في الأسرة من ناحية الأب عامة والأولاد خاصة، وذلك لأنها حملتهم في بطنها أقل من سنة بقليل ورضعتهم طول سنتين كاملتين، هذا بالإضافة إلى عنايتها بأب الأسرة عاطفياً وفردياً.

و كثيرة هي الأحاديث التي تشير مؤكداً على مراعاة حقوق الأم في الأسرة جراء موقفها الاستراتيجي في الأسرة، ومقدرتها العاطفية، وتدبيرها في إدارة الشؤون المنزلية وغيرها. وفي هذه المناسبة، هناك رواية مضمونها "سأل رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رَسولَ اللّه، مَن أحَقُّ النّاسِ بحُسْنِ صَحابَتي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمّ مَنْ؟ قالَ: ثُمّ أُمُّكَ قالَ: ثُمّ مَنْ؟ قالَ: ثُمّ أُمُّكَ قالَ: ثُمّ مَنْ؟ قالَ: ثُمّ أبُوكَ" (البخاري، ١٩٩٠م: ٥٩٧١) (Al-Boukhari: 1990 , P 5971). ففي هذا الحديث نتوصل إلى النتيجة أن مكانة المرأة أو الزوجة في الأسرة خطيرة جداً، وقد تكون هي أفضل صديق للأولاد، لأنها تعتني بهم اعتناء فائقاً وتعطف عليهم عطفاً وافراً، فأهميته من هذه الناحية أكثر من الزوج بشكل عام. وفي الإسلام أيضاً نشاهد أن الأم وقعت محل العناية أكثر من الأب، بسبب أنها بحاجة أكثر إلى العناية ولاسيما إذا فقدت زوجها فحينئذ تتحمل أعباء الحياة وحدها. غير أنه ليس هذا الأمر دليل على إهمال حقوق الأب في الأسرة بل له حقه ايضاً. بعبارة أخرى، "و الإسلام حين قدم برّ الأم، لم يقصد إهمال حق الأب. فالأحاديث على أن برّه أقل من برّ الأم، لا أن الأب يعيق. فالمطلوب من الولد أن يبرهما ويطيعهما جميعاً، ولكن نصيب الأم في البرّ أكثر"(الوكيلي، ١٩٩٧م: ٩٤) (Al-Vakili: 1997 , V 94)

باء- العناية بالأولاد والرحمة بهم: إن الإسلام وضع حقوقا متقابلة بين أعضاء الأسرة، كما أن للوالدين حقوق على الأولاد، فأن للأولاد حقوق على الوالدين. في الحقيقة، يعدُّ الأبناء والذرية، هبة من الله تعالى للبشر، كما جاء في القرآن الكريم ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران/ ٣٨) (Al-Imran:, V 38). وفي مكان آخر اعتبر الله الأولاد زينة للحياة حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف/ ٤٦) (Al-Kahf:, V 46). فالأولاد، كما جاء في القرآن الكريم، هبة وزينة من الله للبشرية، والواجب علينا الاحتفاظ بهم، والاحترام لهم، ومراعاة حقوقهم بشكل عام. ومن النقاط الجديرة بالذكر هنا، أن الأولاد - على حد تعبير القرآن الكريم - على حدّ سويٍّ، من الناحية الانسانية، سواء كانوا أبناء أو بنات، حيث أكد القرآن نفسه على لزوم العناية المتساوية بالأولاد، قائلاً: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ

لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾. (الشورى/ ٤٢) (Al-Shoura:, V 42)

فمن حقوق الأولاد على الوالدين الاحتفاظ بوجودهم ولوكان وضعهم المالي ضعيف جداً، لأن الله يعطي رزقه من حيث لا يحتسب، كما أنهم أمانة على الوالدين من جانب الله تعالى، فالواجب عليهم الاحتفاظ بهذه الأمانة. فها هنا نلاحظ أن القرآن يأمر الانسان بعدم قتل أولاده خوف الفقر والحاجة قائلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام /١٥١) (Al-Inaam:, V 151). هذه هي الوظيفة الأولى التي أمر الله الوالدين بإنجازها في خصوص أولادهم. أما الوظيفة الثانية اللازمة القيام بها من جانب الوالدين فهي تربية الأولاد تربية منطبقة على الشريعة الإسلامية، من تجلياتها تلاوة القرآن الكريم وحفظه، أداء الصلاة، وذكر الله تعالى، واختيار اسم جميل لهم، و غير ذلك. فنواة وظيفة الوالدين هنا إنشاء الجيل الصالح، المؤمن بالله تعالى، الملتزم بالإسلام وحقائقها المذكورة. نظرا إلى ما سبق نجد الله تعالى يقول بلسان ابراهيم: ﴿وَرَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (ابراهيم/ ٤٠) (Al-Ibrahim:, V 40). فالذرية المنشودة لدى الإسلام هي التي تقوم بواجبها الشرعي مؤمنا بالله تعالى ومصليا له البتة.

٣- **الرحمة الاجتماعية:** يعدّ هذا النوع من الرحمة محوراً هامّاً آخر لهيكل الرحمة بشكل عام، فإنه هو البناء الفوقاني للرحمة وإن الرحمة الفردية والأسرية هما البناء التحتاني لها، لأن الفرد هوسبب تشكيل الأسرة والأسرة خطوة تمهيدية لتكوين البناء الاجتماعي، فلولاهما لانهار البناء الاجتماعي، ولانهارت الرحمة الاجتماعية على أثره البتة. على هذا الأساس أكد الإسلام على لزوم تطبيق الرحمة الاجتماعية في المجتمع خوف ألا يضيع حق كل مسلم أو مسلمة على إطلاق الأمر.

لذلك، إذا لم تكن هناك رحمة اجتماعية للنبي الأكرم لوجدت هوة في المتجمع آنذاك، وتعرض المجتمع للتفكك والانهيار المطلق، لذلك جاء في القرآن الكريم في خصوص النبي ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران/ ١٥٩) (Al-Imran:, V 159). فعلى هذا الأساس، إن تشكيل البناء

الاجتماعي، إنما أساسه هو الرحمة التي قد انطبعت على الفرد والأسرة ابتداء وعلى المجتمع أخيراً. ومن جهة أخرى، إن الإسلام يعدّ المجتمع كجسد يمتاز بنوع من الحيوية والنشاط، فإذا تعرض عضو منه بالألم، شعر باقي الأعضاء بالألم أيضا، وفي هذا دلالة على أنه -أي المجتمع- هو وحدة عضوية دينامية بشكل عام. لذلك يقول في هذا الخصوص: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى﴾ (مسلم، د.ت: ٦٠١١) (Muslim:, P 6011). ومن الطبيعي، من خلال ما مضى، أن البشرية لهم حقوق متساوية ومتعادلة، وليست لأحد الأفضلية على الآخر.

ومن تجليات الرحمة الاجتماعية، في الإسلام، تجدر الإشارة إلى المحاور الآتية:

أ- **التساوي ومخالفة العنصرية:** من القضايا الهامة التي عني بها القرآن على وجه خاص، هو وجود التساوي والحقوق الاجتماعية المتساوية بين البشرية بشكل عام، ومن مصاديق ذلك لما يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/ ١٣) (Al-Hujarat:, V 13). ففي هذه الآية نلاحظ تأكيدين هامين: التأكيد الأول هو التساوي بين الذكر والأنثى، والتأكيد الثاني هو التساوي فيما بين البشرية في البناء الاجتماعي، من الناحية الانسانية، إلا أن درجاتهم تختلف من الناحية الإيمانية أو العقدية، عند الله تعالى، فكلما صار الفرد أشدّ قرباً إلى الله صار الأتقى لديه من بقية أنداده بشكل عام.

من هذا المنطلق، يرفض الإسلام العنصرية، والتمييز، والتفرقة، بين البشرية بوجه خاص، ففي هذه المناسبة قيل إنه "لقد ألغى الإسلام كل عوامل التمييز والتفرقة بين الناس عنصرية كانت أو إقليمية أو لونية أو طبقية، ووجه خطابه إلى الناس كافة، لا إلى طائفة خاصة منهم، مبيناً وشائج القربى بين بني البشر. فهم جميعاً عباد لرب واحد، خلقهم فسوّاهم، وهم جميعاً أبناء رجل وامرأة فقد ربطت بينهم المعبودية لله والنبوة لآدم وزوجه" (القرضاوي، ١٩٩٧م، ط١: ١٢٥) (Al-Qarzawi: 1997, V1, P125). على هذا الأساس، إن البشرية جميعاً على حد سويٍّ من الناحية الانسانية، فلافرق بينهم، مع كل ما

يترتب عليهم من الاختلافات الإقليمية، أو اللونية، أو الطبقية وغيرها بوجه عام. وإن هذه المجازر البشرية التي تقتل فيها الأبرياء من الأطفال والنساء، أو القسوة التي تجري بين الدول المختلفة - مسيحية كانت أو إسلامية أو يهودية - هي، في حقيقة الأمر، نتيجة عدم وجود الرحمة بينهم من جهة، والتذرع بذرائع عنصرية من جهة أخرى.

باء- مراعاة العدالة الاجتماعية ومخالفة العنف: إن تطبيق العدالة الاجتماعية، والمواجهة ضد العدوان، وكل ما ينافي الحقوق الاجتماعية، هو بالطبع جزء لا يتجزأ من المجتمع المثالي أو المجتمع الذي قد عرّفه الإسلام علينا جميعاً، فإجراء هذه الأمور هو بمثابة الرحمة الممدوحة في الإسلام "و هي - أي الرحمة الممدوحة - هي التي ترعى حقوق الأفراد والجماعات، وتبذل للصالح العام، وتوجد في حدود الدين، حتى تكون وسيلة لحماية الأمة من الفساد، وأسير بها في طريق الكمال" (البليني، ١٣٨٢ش: ٧٨) (Al-balini: 2003 , P 78). فوجود التراحم بين الناس، على هذا، يبعد المجتمع عن الفساد، ويجعله في نطاقه الحقيقي الذي أراد الله من خلال القرآن الكريم. ومن جهة أخرى، يطبق الأخلاق الحضاري، والصبغة المدنية بين المجتمعات. وزد على ذلك، في الحالة هذه، لن يطقى مجتمع على آخر و فرد على مثيله على إطلاق الأمر. الخلاصة ((أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين في انسانيتهم، فلم يفعلوا فعل هذه الوحوش الضارية بإخوانهم وبني نوعهم. لو تمت الرحمة في النفوس لما التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة، ولما فعلت بهم ما تفعله أقوى الحيوانات بأضعفها. على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشراهته. (الدجوي، ١٣٥٤ق: ١٦٢) (Al-Dajvi:1936, P 162). هنا نصل إلى أن الانسان يتأرجح بين حالتين هما: أولاً الحالة الانسانية الكريمة التي يودّ خلق الله تعالى ويرحمهم رحمة كبيرة، وثانيا الحالة الحيوانية الضارية التي تعرّض حقيقته للانهيار الكامل وترده إلى أسفل السافلين، أو كالأنعام بل الأضل.

الخاتمة:

بناء على ما سبق أن قلنا عن الرحمة وأبعادها و تجلياتها انطلاقاً من القرآن الكريم، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- إن الرحمة الفردية أساس الرحمة الأسرية والاجتماعية، بسبب أنه، ما لم يكن الفرد رحيما بذاته ونفسه، فلن يكون رحيما بنظيره، فالرحمة الفردية إذا تم تطبيقها على حياة الفرد يرحم الفرد لنفسه أولاً وللأسرة والمجتمع ثانياً. وإن تأكيد الإسلام والقرآن الكريم على الرحمة الفردية، فذلك باعتبارها حجر الأساس للرحمة في أبعادها الأخرى، فإذا لم تكن هذه الرحمة، فلن تكون الرحمة بأبعادها الأخرى ألبتة. عليه، فإن للرحمة نسبة تلازمية مع الرحمة الفردية والاجتماعية.
- الرحمة الأسرية: إن أهمية الرحمة الأسرية أيضاً تأتي من كونها أساساً لتكوين بناء المجتمع، فإن لها علاقة وطيدة مع المجتمع، بحيث إنه - المجتمع- يتكون من خلال الأسرة، وينهج منهجا موافقاً معه، عليه، فإن كانت الأسرة ذات مسحة أخلاقية كريمة، فالمجتمع يبدو أخلاقياً وكريماً من ناحية أبنائه، وعلى العكس، إذا كانت الأسرة ذات مسحة أخلاقية شنيعة فإن المجتمع، في الحالة هذه، يسير مسيرا اللاّ أخلاقياً واللاّ مبالاتياً من ناجية أبنائه بشكل عام. ذلك أن الأسرة هي نواة المجتمع فذلك يعني بوجودها، نظيفة كانت أو شنيعة. والتدليل على ذلك، أنه ورد في القرآن الكثير من الآيات التي توصي إلى لزوم التراحم، والمودة، وللين في الأسرة.
- الرحمة الاجتماعية: إن الرحمة الاجتماعية هي، في حقيقة الأمر، وليدة الرحمة الأسرية، وإن تطبيقها على المجتمع يؤدي إلى مراعاة الحقوق الفردية والاجتماعية بشكل عام. فالرحمة الاجتماعية لا تحصل إلا إذا كانت العدالة الاجتماعية والحقوق الاجتماعية محل العناية من قبل أفراد المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (د.ت) **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دارإحياء التراث العربي.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** ، دارالنشر، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- البليني، عبدالمطلب يوسف صلاح، عبد الرحيم فرغل (١٣٧٠ق). الرحمة، كنوز الفرقان، العدد ٢٨، صص: ٥-٩.
- البليني، عبد الرحيم فرغل، (١٣٨٢ق). **منبر الإسلام**، السنة العشرون، العدد ٤، صص: ٧٦-٧٨
- الدجوي، يوسف (١٣٥٤ق). **الرحمة**، مجلة الأزهر، المجلد السادس، الجزء ٦، صص: ١٦٤-١٧٠
- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٧م). **مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة
- شنتوح، ليلا، (د.ت). **الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس(دراسة مقارنة)**، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. قسم الدراسات الإسلامية.
- الاصبهاني، الحسن بن علي، (بلارقم و لاسنة)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دارالمعرفة.
- القريمي الكفوي، ابوالبقاء ايوب بن موسى الحسيني (١٩٠٤ه): **الكليات**، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ت.
- الغزالي، محمد(د.ت). **خلق المسلم**، د.ط، دارالكتب الإسلامية.
- المدني، محمد محمد، (١٣٨١ق)، **الإسلام دين الرحمة**، منبر الإسلام، السنة التاسعة عشرة، العدد: ٥، صص: ١٩-٢١.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، (١٩٩٩م). **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي، والرعية**، ط ٤، مصر: دارالكتب العربي.
- البيهقي، ابوبكر احمد بن الحسين بن على (١٩٩٤م). **السنن الكبري**، تحقيق: احمد عبدالقادر عطاء،ج ١٠، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السعدي، عبدالرحمن، (٢٠٠٢م). **بهجة القلوب الأبرار وقرة عين الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، تحقيق: عبد الكريم آل الدريني، ط١، الرياض: مكتبة الرشد.

- پرچم، اعظم وآخرون، (١٣٨٩ش). **معنا شناسي رحمت رحيميه در قرآن**: دراسة معنوية للرحمة الرحيمية في القرآن، مجله علوم القرآن والحديث، العدد: ١٤، صص: ٩٥-١١٦.
- المغربي، الامام محمد بن سلمان، **جمع الفوائد من جامع الأصول و مجمع الزائد**، تحقيق: ابوعلي سليمان بن دريع، الجزء الاول، ط ١: داربن خرم.
- الزمخشري، محمدبن عمر الخوارزمي، (١٩٧٩م)، **أساس البلاغة**، دار النشر: دار الفكر.
- ابن منظور الأنصاري الإفريقي، محمد بن جمال بن مكرم، (١٤١٤هـ). **لسان العرب**، ط٣، بيروت: دار صادر.
- القزويني الرازي، أبوالحسين: أحمد بن فارس، (١٩٩٧م). **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الأعلام الإسلامي.
- الطبري، ابو جعفر محمدبن جرير (١٤١٢ق) ، **جامع البيان في تفسير القرآن**، بيروت: دار المعرفة.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (١٩٦٤م). تحقيق: أحمد بن البردوني إبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- الجوزي، ابوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢ق). **زاد المسير في علوم التفسير**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي
- الشوكاني اليمني، محمد بن عبدالله، (١٤١٤ق). **فتح القدير**، ط١، دمشق- بيروت: داربن كثير، دارالكلم الطيب.
- مجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣ق). **بحار الأنوار**، ج ١٨، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الحلو، د. بثينه منصور، (د.ت). **دراسات منوعة في الشخصية**، دار النهضة العربية.
- فوزي علي، د. عثمان، (٢٠٠١م).**التخطيط في ضوء القرآن الكريم**، ط١١، بغداد: مجلة العلوم الإسلامية.
- البخاري، محمد بن اسماعيل، (١٩٩٠م). **صحيح للبخاري**، ط٢، مصر- قاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- الوكيلي، محمد (١٩٩٧م). **فقه الأولويات دراسة في الضوابط**، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.